وهكذا ساءت سمعتها

حنان جمعه عبدالعظيم- مصر

وفقاً للعادات والتقاليد هي امرأة سيئة السمعة، هكذا اطلق عليها الكثيرون بالحي التي كانت تسكن به.

كانت فتاة جميلة تبلغ من العمر أربعة وعشرون عاماً عندما توفي والدها بعد معاناته مع مرض الكبد لمدة عامين ، ولم يمهلها القدر بعض الوقت لتحزن وتوفت والدتها بعد وفأة والدها بعام لحزنها الشديد على زوجها.كانت سحر تحب الإعتماد على نفسها دائما ولم ترغب فى المعيشة مع أحد من أقاربها .

كانت تعمل موظفة بأحدى شركات البترول الخاصة، مما يستلزمها أن تكون حسنة المظهر وتتمتع باللباقة فى الحديث ، وهي كانت كذلك بالفعل حيث ترتدي الملابس الأنيقة جدا وهذا من وجهة نظرى، أما من وجهة نظر الجيران فهي متحررة وترتدي ملابس لا تليق بمجتمعنا الشرقي ولا تصلح أن تكون زوجة صالحة وأم مسئولة.

كانت تسهر مع أصدقائها حتي آذان الفجر وتسافر الرحلات معهم لمدة ٣ أيام أو أكثر، مما يجعل الجميع يظن بها ظن السوء ويلقبونها بالمنحرفة.

كانت تسكن فى الشقة المجاورة لشقتنا وكانت علاقتي بها جيدة، ولكن بعد وفاة والديها أصبحت علاقتنا محدودة جدا تقتصر فقط على السلام ، وإذا شاهدتنا والدتى نتحدث أمام الشقة تنادينى ثم تبدأ بسيل من العبارات الجارحة ومنعي مرارا وتكرارا بالا أتحدث إليها مرة أخرى وإن رأيتها بأي مكان اتجاهلها ولكنى لا أجد سبب منطقي لكل هذا، بالفعل لما أرى من سحر أى شئ سيئ .

وذات يوم دق الجرس، توجهت والدتي إلي باب الشقة ووضعت يدها على المقبض لفتح الباب وتتفاجئ بشاب فى مُقتبل الأربعين طويل القامة وسيم حسن المظهر يرتدي بذلة تنم عن أنه من الأثرياء يرسم على شفاه إبتسامة رقيقة وبعد ان ألقى التحية على والدتى سألها عن والدي ومازالت والدتي فى حالة من الدهشة والتعجب من هذا الشاب وماذا يريد من زوجها.

تعجبت والدتي من السؤال وخاصة أنها لا تعرفه، ونحن عائلة متحفظة بعض الشئ ولا يمكن لأحد زيارتنا دون موعد مسبق ومؤكد .

خرج له والدى وقال له : تفضل بالدخول

دخل الشاب وبعد إستفسار والدى منه ،عرف أنه يدعي خالد وسبب وجوده هنا أنه يريد التقدم لخطبة جارتنا سحر التى كانت تبلغ من العمر وقتها ثلاثة وثلاثون عامًا.

وقد أصاب أبي الدهشة والتعجب أيضا مثل والدتى ،لماذا يدق بابنا وهو يريد الزواج من جارتنا !.

فمن العادات والتقاليد القديمة أن يقوم العريس بالتحرى عن النسب وسمعة العروس . حاول أن يتحرى من الجيران وقد دله صاحب السوبر ماركت على شقة والدى لأنه أقدم ساكن بالعمارة ويعرف أهلها جيداً .

وقد سأله والدى بهدوء : أين تعرفت عليها؟

قال وعلى وجهه إبتسامة خجل : أنا أحد عملاء الشركة التي تعمل بها سحر

قال له والدى بجدية : هل أنت متزوج

أجاب بارتباك واضح من نبرة صوته: لا .. أنا مطلق منذ ثلاث أعوام وليس لدي أطفال

وزاد على جملته هذه بكل ثقة: وأرغب فى معرفة المزيد عنها وعن عائلتها.

قال له والدى والإبتسامة على وجهه كأنه يسترجع الذكريات العطرة بالمحبة والمودة ونبرة الحنين فى نغمة صوته :

- كانت والدتها طباخة ماهرة وخاصة فى صُنع قرع العسل بالبشاميل ، سيدة كريمة وودودة وتقوم بتوزيعه على الجيران، وجميع من بالعمارة يحبها حتي والدتى رحمة الله عليها .أما والدها لم يحلفنى الحظ أن أتعرف عليه أكثر لأنه كان دائم السفر لظروف عمله بمدينة أخرى لكن رجل

ملتزم ديني وأخلاقيا ، كنت أراه أسبوعياً فى المسجد أثناء صلاة الجمعة ولم أرى منه أية إساءة ، رغم أنه كان رجل سليط اللسان جداً ولم أحبه يوما لكنه لم يضايقني يوما ولم يتعرض لأهل بيتى بشئ سيئ .

إبتسم خالد إبتسامة خجل وقال : ماذا عن سحر ؟!

ضحك والدى بصوت عالي وقال له : سحر مرحة جداً وأيضا جرئية جداً ووحيدة جداً كانت فى المناسبات تختفى عن الجميع حتي لا يرى الجميع وحدتها ، توفى والديها وهي صغيرة .

يحكى أبي كل هذا وأنا فى دهشة من أمره، لقد كان والدى لا يعطيه معلومات عنها ولكنه يبرر له ما تفعله وكأنه يحاول إقناعه بها.

رد خالد : هذا يعنى أنك لست متحفظ على أي شئ تقوم به سحر ؟

قال أبي بنبرة مزح : تحفظي الوحيد أنها تعطي ليلى إبنتي شرائط ذلك الشاب ذو الحركات الغريبة المريبة المدعو مايكل جاكسون ، وأيضا ذلك الشاب صاحب الوشم العجيب جورج مايكل ، وأنا لا أحبهما وأمنع إبنتى من الأستماع لمثل هذه الأغاني.

زاد إندهاشي وضيقى من والدى عندما سمعت ذلك .

قال له خالد : ماذا عن ما ترتديه سحر؟

رد أبي ببساطة : يمكنك أقناعها بتغيره فيما بعد

قال خالد بنرة يأس : لا تريد أن ترتدي الحجاب !

قال ابي : بنتي وأختي ليستا محجبات أنك لا تهدي من أحببت لكن الله يهدي من يشاء. .

ظهرت على خالد علامات الإرتياح وبدأ يبتسم بإطمئنان، وإلتفت إلى والدتي وسألها أيضا عن رأيها بسحر ، وأجابت والدتى بإبتسامة رقيقة ليس لدي أكثر مما قاله لك أحمد زوجي ، أتمني لكما الخير ، وأتمني من الله أن يهديها وتتوقف عن شقاوة الأطفال التي تفعلها حتى الآن تقوم بالضغط على الجرس وتجرى مثل الأطفال.

وضحك الجميع وبدات انظر باندهاش اكثر من موقف والدتي وأتذكر أنها ذات يوم منعتني من الذهاب إلي الجامعة لمدة أسبوع كامل بسبب أننى ركبت السيارة مع سحر وأيضا تخاصمت مع سامي أخي لمدة أسبوعين بسبب أنها راته يتحدث معها أمام مدخل العمارة.

وبعد انتهاء حديثها ومرور يومين عليه ، عاد خالد مرة أخرى وقال لأبي أنه قرر الزواج من سحر ولكنه خائف مما سمعه عنها.

إبتسم أبي وسأله: لماذا طلقتك زوجتك؟ هل لأنك شخص سيئ!

أجاب خالد : إنها الظروف يا أستاذي

رد أبي بتلقائية شديدة : نعم إنها الظروف التي تتحكم بحياتنا وتخلق منا شخص آخر غير الذي كنا عليه ، ولكن عندما تتغير الظروف بالطبع يتغير المرء للأفضل ، فكن أنت تلك الظروف التى تغيرها للأحسن .كن أنت تلك الفرصة التي تمنح للمرء مرة واحدة بالعمر حتي يتغير ويصبح شخص مسئول .

وبالفعل أخذ خالد كلام والدى محمل الجد وتزوج سحر وسافرا للعمل بإحدي الدول العربية ولكن لم تنقطع علاقتهما بنا وكانت سحر دائمة الاتصال بنا.

وذات يوم جلست مع أبي ولم أنسى يوما موقفه مع خالد وقررت أن أضع الخجل جانباً وأسال أبي عن ما قاله عن سحر رغم إعتراضه عن ما تفعله ، وأجاب أبي أنه لم يكذب فى شئ ذكره عن سحر وهو يعلم أن خالد يحبها حقاً وأتي إليه ليسمع ما يريح قلبه ويرحمه من خوفه وحيرته ، وهذا ما فعلته جعلته يأخذ الخطوة فى الزواج منها وهو مطمئن ، وها هي الآن زوجة صالحة وأم رائعة.

وتمر الأيام ويتوفى والدى وعندما علمت سحر بالخبر ، حجزت أول طائرة وأتتى إلينا لتقديم واجب العزاء ، وهذه المرة الأولى التى تتحدث فيها سحر عن فضل والدى عليها وما قدمه لها من فرصة عظيمة لتغير مسار حياتها ولن تنسى له هذا. حقا تغيرت كثيراً سحر وأصبحت تزور قبر أبي فى كل مرة تعود فيها إلى بلدها

لا تبخل بإعطاء الفرصة للأخرين ليتغيروا ويحسنوا اختيار الطريق حتي تجد من يعطيك الفرصة.